

إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ
مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ

وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (البقرة) 174

(إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي
الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ (77) آل عمران

(128) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ
وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (129) البقرة

لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ
آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ
مُبِينٍ (164) آل عمران

هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ
وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ
(2) الجمعة

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا
(49) انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا
(50) النساء

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطْوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطْوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَّى مِنْكُمْ مَنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (21) النور

(2) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يُزَكِّي (3) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى (4) أَمَّا مَنْ

اسْتَعْنَى (5) فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى (6) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَكِّي (7) عبس

وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (18) فاطر

وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (17) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (18) وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ

نِعْمَةٍ تُجْزَى (19) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى (20) الليل

الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اتَّقَى (32) النجم

حديث أبي بكر، قال: أثنى رجل على رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: ويحك قطعت عنق صاحبك، قطعت عنق صاحبك مراراً ثم قال: من كان منكم مادحاً أخاه، لا محالة، فليقل أحسب فلاناً والله

حَسْبِيهِ **وَلَا أَرْكِي** عَلَى اللَّهِ أَحَدًا أَحْسِبُهُ كَذَا وَكَذَا، إِنْ كَانَ يَعْلَمُ ذَلِكَ مِنْهُ (متفق عليه)

وَيَلِكُ قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ ، قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ . مِرَارًا ثُمَّ قَالَ - « مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَادِحًا أَخَاهُ لَا مَحَالَةَ فَلْيُقِلْ أَحْسِبْ فَلَانًا ، وَاللَّهُ حَسْبِيهِ ، **وَلَا أَرْكِي** عَلَى اللَّهِ أَحَدًا ، أَحْسِبُهُ كَذَا وَكَذَا إِنْ كَانَ يَعْلَمُ ذَلِكَ مِنْهُ » البخاري

(مدح رجل رجلا) ذكر مسلم في هذا الباب الأحاديث الواردة في النهي عن المدح وقد جاءت أحاديث كثيرة في الصحيحين بالمدح في الوجه قال العلماء وطريق الجمع بينهما أن النهي محمول على المجازفة في المدح والزيادة في الأوصاف أو على من يخاف عليه فتنة من إعجاب ونحوه إذا سمع المدح وأما من لا يخاف عليه ذلك لكمال تقواه ورسوخ عقله ومعرفته فلا نهى في مدحه في وجهه إذا لم يكن فيه مجازفة بل إن كان يحصل بذلك مصلحة كمنشطه للخبر والازدياد منه أو الدوام عليه أو الاقتداء به كان مستحبا (قطعت عنق صاحبك) وفي رواية قطعت ظهر الرجل معناه أهلكتموه وهذه استعارة من قطع العنق الذي هو القتل لاشتراكهما في الهلاك لكن هلاك هذا الممدوح في دينه وقد يكون من جهة الدنيا لما يشتهه عليه من حاله بالإعجاب (**ولا أركي** على الله أحدا) أي لا أقطع على عاقبة أحد ولا ضميره لأن ذلك مغيب عني ولكن أحسب وأظن لوجود الظاهر المقتضى لذلك [مسلم

قام رجل يشني على أمير من الأمراء فجعل المقداد يحثي عليه التراب
وقال أمرنا رسول الله صلى الله عليه و سلم أن نحثي في وجوه المداحين
التراب

[ش) أمرنا رسول الله صلى الله عليه و سلم أن نحثي في وجوه
المداحين التراب) هذا الحديث قد حملة على ظاهره المقداد الذي هو
راويہ ووافقہ طائفة وكانوا يحثون التراب في وجهه حقيقة وقال آخرون
معناه خيبرهم فلا تعطوهم شيئاً لمدحهم] مسلم

أضواء البيان

{ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ } الآية .
أنكر تعالى عليهم في هذه الآية تزكيتهم أنفسهم بقوله : { أَلَمْ تَرَ إِلَى
الَّذِينَ } [النساء : 49] وبقوله : { انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ
الْكَذِبَ وَكفى بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا } [النساء : 50] وصرح بالنهي العام عن
تزكية النفس وأحرى نفس الكافر التي هي أحس شيء وأنجسه بقوله : {
هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا
تَزَكُوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى } [النجم : 32] ولم يبين هنا كيفية
تزكيتهم أنفسهم .

ولكنه بين ذلك في مواضع أخر ، كقوله عنهم : { نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ
{ [المائدة : 18] وقوله : { وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا
أَوْ نَصَارَى } [البقرة : 111] إلى غير ذلك من الآيات .

قوله تعالى : { وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا
ولكن الله يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } .

بين جل وعلا في هذه الآية ، أنه لولا فضله ورحمته ، ما زكا احد من خلقه ولكنه بفضله ورحمته يزكي من يشاء تزكيتة من خلقه .

ويفهم من الآية أنه لا يمكن أحداً أن يزكي نفسه بحال من الأحوال ، وهذا المعنى الذي تضمنته هذه الآية الكريمة جاء مبيناً في غير هذا

الموضع كقوله تعالى : { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي

مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا } [النساء : 49] الآية . وقوله تعالى : {

هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا

تَزَكُوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى } [النجم : 32] .

والزكاة في هذه الآية : هي الطهارة من أنجاس الشرك ، والمعاصي .

وقوله : { ولكن الله يُزَكِّي مَن يَشَاءُ } أي يطهره من أدناس الكفر

والمعاصي بتوفيقه وهدايته إلى الإيمان والتوبة النصوح ، والأعمال

الصالحة .

وهذا الذي دلت عليه هذه الآية المذكورة لا يعارضه قوله تعالى : { قَدْ

أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا } [الشمس : 9] ولا قوله : { قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى } [

الأعلى : 14] على القول بأن معنى تزكى تطهر من أدناس الكفر

والمعاصي ، لا على أن المراد بها خصوص زكاة الفطر ، ووجه ذلك في

قوله : من زكاها أنه لا يزكيها إلا بتوفيق الله وهدايته إياه للعمل الصالح ،
وقبوله منه .

وكذلك الأمل في قوله : { قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى } [الأعلى : 14] كما لا
يخفى .

والأظهر أن قوله : { مَا زَكَا مِنْكُمْ مَنْ أَحَدٍ } الآية : جواب لولا التي تليه
، خلافاً لمن زعم انه جواب لولا في قوله : { وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ
وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَعُوفٌ رَحِيمٌ } [النور : 20] وقد تكرر في الآيات التي
قبل هذه الآية حذف جواب لولا ، لدلالة القرائن عليه .

والأصل : لقد أفلح ، فحذفت اللام لطول الفصل ، وزكاها بمعنى طهرها
، وأول ما يطهرها منه دنس الشرك ورجسه ، كما قال تعالى : { إِنَّمَا
الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ } [التوبة : 28] ، وتطهيرها منه بالإيمان ثم من
المعاصي بالتقوى ، كما في قوله تعالى : { فَلَا تَزَكُوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ
بِمَنْ اتَّقَى } [النجم : 32] ، ثم بعمل الطاعات { قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى
وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى } [الأعلى : 14-15] .

واختلف في مرجع الضمير في زكاها ودساها ، وهو يرجع إلى اختلافهم
في { فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا } [الشمس : 8] ، فهل يعود إلى الله
تعالى ، كما في { وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا } [الشمس : 7] ، أم يعود على
العبد .

ويمكن أن يستدل لكل قول ببعض النصوص . فمما يستدل به للقول الأولى قوله تعالى : { بَلِ اللّٰهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظَلِّمُونَ فِتْيَانًا } [النساء : 49] ، وقوله : { وَلَوْلَا فَضْلُ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا } [النور : 21] ، وفي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول عند هذه الآية : « اللّٰهُمَّ أَتَيْتَ نَفْسِي تَقْوَاهَا وَزَكَاةَهَا ، أَنْتَ خَيْرٌ مِنْ زَكَاةِهَا ، وَأَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا » .

ومما استدل به للقول الثاني فكقوله :

{ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى } [الأعلى : 14-15] ،
وقوله : { وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللّٰهِ الْمَصِيرُ } [فاطر : 18] ،
وقوله : { فَقُلْ هَلْ لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ } [النازعات : 18-19] ، وقوله : { وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِي } [عبس : 3] ،
[وكلها كما ترى محتملة ، والإشكال فيها كالأشكال فيما قبلها .
والذي يظهر والله تعالى أعلم : أن الجمع بين تلك النصوص كالجمع في التي قبلها ، وأن ما يتزكى به العبد من إيمان وعمل في طاعة وترك لمعصية ، فإنه بفضل من الله ، كما في قوله تعالى المصرح بذلك { وَلَوْلَا فَضْلُ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا } [النور : 21] .
وكل النصوص التي فيها عود الضمير أو إسناد التزكية إلى العبد ، فإنها بفضل من الله ورحمة ، كما تفضل عليه بالهدى والتوفيق للإيمان ، فهو الذي يتفضل عليه بالتوفيق إلى العمل الصالح . وترك المعاصي ، كما في

قولك « لا حول ولا قوة إلا بالله » وقوله : { فَلَا تَرْكُوا أَنْفُسَكُمْ } [النجم : 32] ، وقوله : { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ } [النساء : 49] ، إنما هو بمعنى المدح والثناء ، كما في قوله تعالى : { قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ نُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قَوْلُوا أَسْلَمْنَا } [الحجرات : 14 (بل)] في قوله تعالى : { بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا } [النساء : 49] ، الجمع بين الأمرين ، القدري والشرعي ، { بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ } بفضله ، { وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا } بعدله . والله تعالى أعلم

{ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ } قال ابن عباس : لا تمدحوها .

مجاهد وزيد بن أسلم : فلا تبرئوها ،

وقال الكلبي ومقاتل : كان أناس يعملون أعمالا خبيثة ثم يقولون : صلاتنا وصيامنا وحجنا . فأنزل الله سبحانه هذه ،

{ فَلَا تَزَكُوا أَنْفُسَكُمْ } : أي فلا تمدحوها على سبيل الفخر والإعجاب .

{ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ } قال ابن عباس : لا تمدحوها .

قال الحسن : علم الله من كل نفس ما هي صانعة وإلى ما هي صائرة ، فلا

تزكوا أنفسكم ، لا تبرئوها عن الآثام ، ولا تمدحوها بحسن أعمالها (5) .

{ فَلَا تَزَكُوا أَنْفُسَكُمْ } هو أعلم بمن اتقى { وذلك لأن التزكية متعلقة

بالتقوى وهي صفة في الباطن فلا يعلم حقيقتها إلا الله تعالى فلا تصلح

التزكية إلا من عند الله تعالى فلماذا قال الله تعالى : { بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن

يَشَاءُ } ويدخل في هذا المعنى كل من ذكر نفسه بصلاح أو وصفها

بزكاء العمل أو بزيادة الطاعة والتقوى أو بزيادة الزلفى عند الله تعالى فهذه الأشياء لا يعلمها إلا الله فلماذا قال : { فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى } ومعنى يزكون أنفسهم يزعمون أنهم برؤوا أنفسهم من الذنوب قال تعالى رداً عليهم : { بل الله يزكي من يشاء } فيجعله زاكياً { ولا يظلمون فتياً } يعني أن الذين يزكون أنفسهم يعاقبون على تلك التزكية من غير ظلم وقيل معناه إن الذين زكاهم الله لا ينقصون من ثواب طاعتهم شيئاً والفتيل المفتول وسمي ما يكون في شق النواة فتياً لكونه على هيئته وقيل الفتيل هو ما تفتله بين أصابعك من وسخ وغيره ويضرب به المثل في الشيء الحقير الذي لا قيمة له { انظر } الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم انظر يا محمد إلى هؤلاء اليهود { كيف يفترون على الله الكذب } يعني قولهم أنهم لا ذنوب لهم وتركيتهم أنفسهم { وكفى به } أي بذلك الكذب { إثماً مبيناً } .

ففي قوله وما أبرئ نفسي هضم للنفس وانكسار وتواضع لله عز وجل فإن رؤية النفس في مقام العصمة والتزكية ذنب عظيم فراد إزالة ذلك عن

نفسه فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين

فإن قلت كيف مدح يوسف نفسه بقوله إني حفيظ عليم والله تعالى يقول فلا تزكوا أنفسكم .

قلت إنما يكره تزكية النفس إذا قصد به الرجل التطاول والتفاخر والتوسل به إلى غير ما يحل فهذا القدر المذموم في تزكية النفس .

أما إذا قصد بتزكية النفس ومدحها إيصال الخير والنفعة إلى الغير فلا يكره ذلك ولا يحرم بل يجب عليه ذلك مثاله أن يكون بعض الناس عنده علم نافع ولا يعرف به فإنه يجب عليه أن يقول أنا عالم ، ولما كان المالك قد علم من يوسف أنه عالم بمصالح الدين ولم يعلم أنه عالم بمصالح الدنيا نبهه يوسف بقوله إني حفيظ عليم على أنه عالم بما يحتاج إليه في مصالح الدنيا أيضاً مع كمال علمه بمصالح الدين .

(ابن عثيمين)

ومنها: أن وصف الإنسان نفسه بما فيه من الخير لا بأس به إذا كان المقصود مجرد الخبر دون الفخر؛ لقولهم: { ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك }؛ ويؤيد ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: "أنا سيد ولد آدم ولا فخر" (1)؛ وأما إذا كان المقصود الفخر، وتزكية النفس بهذا فلا يجوز؛ لقوله تعالى: { فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى } [النجم: 32] ..

{ فلا تزكوا أنفسكم } أي: لا تزكوها وتقول عملت كذا وكذا، وصلت، وزكيت، وصمت، وجاهدت، وحججت، لا تقل هكذا، تُدل بعملك على ربك، هذا لا يجوز.

ابن تيمية

وقوله تعالى: { فلا تُزكُوا أنفسكم هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى } [النجم: 32] ، دليل على أن الزكاة هي التقوى، والتقوى تنتظم الأمرين جميعاً، بل

ترك السيئات مستلزم لفعل الحسنات؛ إذ الإنسان حارث هُمَام، ولا يدع إرادة السيئات وفعلها إلا بإرادة الحسنات وفعلها، إذ النفس لا تخلو عن الإرادتين جميعاً، بل الإنسان بالطبع يريد فعال، وهذا دليل على أن هذا يكون سببه / الزكاة والتقوى التي بها يستحق الإنسان الجنة، كما في صحيح البخارى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (من تكفل لى بحفظ ما بين لحييه ورجليه أتكفل له بالجنة) .

ومن تركى فقد أفلح فيدخل الجنة، والزكاة متضمنة حصول الخير وزوال الشر، فإذا حصل الخير وزال الشر . من العلم والعمل . حصل له نور وهدى ومعرفة وغير ذلك، والعمل يحصل له محبة وإنابة وخشية وغير ذلك . هذا لمن ترك هذه المحظورات وأتى بالمأمورات ويحصل له ذلك . أيضاً . قدرة وسلطاناً، وهذه صفات الكمال : العلم، والعمل، والقدرة، وحسن الإرادة، وقد جاءت الآثار بذلك،

والتزكي من الكبائر، الذي هو تمام التقوى، كما قال : { فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى } [النجم : 32] ، وقال : { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا } [النساء : 49] ، فعلم أن التزكية هو الإخبار بالتقوى .

ومنه التزكي بالطهارة، وبالصدقة والإحسان، كما قال : { خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا } [التوبة : 103] .

و { وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى } [الأعلى : 15] ، قد يعنى به الإيمان بالله، و [الصلاة] : / العمل، فقد يذكر اسم ربه من لا يصلي .
ومن الفقهاء من يقول : هو ذكر اسمه في أول الصلاة؛ ولهذا . والله أعلم .
- قدم التزكي في هذه الآية .

القرطبي

: أثنى الله سبحانه بالحمد على نفسه وافتتح كتابه بحمده ولم يأذن في ذلك لغيره بل نهاهم عن ذلك في كتابه وعلى لسان نبيه عليه السلام فقال : { فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى } وقال عليه السلام :
[احتوا في وجوه المداحين التراب] رواه المقداد وسيأتي القول فيه في النساء إن شاء الله تعالى

فمعنى الحمد لله رب العالمين أي سبق الحمد مني لنفسي قبل ان يحمدني أحد من العالمين وحمدي نفسي لنفسي في الأزل لم يكن بعلة وحمدي الخلق مشوب بالعلل قال علماؤنا : فيستقبح من المخلوق الذي لم يعط الكمال أن يحمد نفسه ليستجلب لها المنافع ويدفع عنها المضار وقيل : لما علم سبحانه عجز عباده عن حمده حمد نفسه لنفسه في الأزل فاستفراغ طوق عبادة هو محل العجز عن حمده ألا ترى سيد المرسلين كيف أظهر العجز بقوله :

[لا أحصي ثناء عليك] وأنشدوا :

(إذا نحن أثينا عليك بصالح ... فأنت كما نشي وفوق الذي نشي)

{ فلا تزكوا أنفسكم } [النجم : 32] يقتضي الغض من المزكي لنفسه
بلسانه والإعلام بأن الزاكي المزكي من حسنت أفعاله وزكاه الله عز و جل
فلا عبرة بتزكية الإنسان نفسه وإنما العبرة بتزكية الله له وفي صحيح مسلم
[عن محمد بن عمرو بن عطاء قال : سميت ابنتي برة فقالت لي زينب
بنت أبي سلمة : إن رسو الله صلى الله علي وسلم نهى عن هذا الاسم
سميت برة فقال ؟ رسول الله صلى الله عليه و سلم
لا تزكوا أنفسكم الله أعلم بأهل البر منكم فقالوا : بم نسميها ؟ فقال :
سموها زينب] فقد دل الكتاب والسنة على المنع من تزكية الإنسان
نفسه

{ فلا تزكوا أنفسكم } أي لا تمدحوها ولا تشنوا عليها فإنه أبعد من الرياء
وأقرب إلى الخشوع

